بالعربي

سميرة رجب

المقابر الجماعية وحرب النجف الأشرف... لماذا تقتلون الصدر ؟

من مجمل ما ذُكرَ عن زيارات (القادة الجدد) في العراق للرئيس العراقي الأسير صدام حسين في سجنه الأمريكي، والعهدة على الراوي الأمريكي (الصدوق)، إن موفق الربيعي (مستشار الأمن القومي العراقي لقوات الاحتلال، واسمه الحقيقي كريم شاهبور) سأل الرئيس الأسير «لماذا قتلت الصدر؟» (وهو يقصد والد السيد مقتدى الصدر)... أما الإجابة فلم نعرفها بالطبع لأن الإعلام لم ينشرها (حفاظاً على مبدأ الاعلام الحر)... واليوم نسأل موفق الربيعي وجميع أولئك العراقيين الذين أتوا بالمحتل أو أتى بهم المحتل لاحتلال العراق، نسألهم «لماذا تقتلون الصدر والشيعة العرب من أبناء العراق»؟

من جهة أخرى، وبعد أن اعترف توني بلير بأن قصة المقابر الجماعية في الجنوب العراقي كانت أخبارا غير صحيحة (كذبة)، وما ذُكرَ عن أعداد القتلى التي وصفت بمئات الألوف في هذه المقابر كانت أيضاً غير حقيقية (كذبة)، إذ من المفهوم ان تلك الأكاذيب خلقت بهدف تغطية كذبتهم الأولى الخاصة بأسلحة الدمار الشامل في العراق... بعد هذه الاعترافات، نتساءل: من الذي سوف يوثق تاريخ المقابر الجماعية الجديدة التي يحفرها المحتل الأمريكي وعملاؤه في العراق ومن سوف يوثق أعداد القتلى في هذه المقابر... وخصوصاً بعد أن بدأ الجنوب العراقي، انتفاضته ضد الاحتلال الأنجلو - أمريكي وعملائه، بقيادة «سيد الكوفة» مقتدى الصدر؟ نعم، بدأت انتفاضة جنوب العراق، انتفض الشيعة والسنة أبناء الجنوب العراقي كما انتفض عام ١٩٩١ لمواجهة الألوف المؤلفة من قوات بدر والتوابين الذين دخلوا عليهم من الحدود الإيرانية في عتمة ليالي القصف والغارات الأمريكية التي كانت تدك العراق دكاً على مدار اثنين وأربعين يوماً في تلك الحرب المشئومة، دون أن ينجدهم أو يرحمهم أشقاؤهم وجيرانهم... وإن كان هناك بعض المقابر الجماعية وبعض الألوف من الجثث في تلك الجنوب العراقي اليوم، فإن أبناء العراق يعرفون لمن هي هذه المقابر وهذه الجثث، وهم الشهود على تلك المذابح التي قامت بها تلك القوى المكتسية بالسواد حتى عصبة الرأس، تلك القوى التي تسللت إلى مدنهم من منافذ جنوب العراق في الليالي الظلماء بعد أن قصفت الغارات كافة مولدات الكهرباء... تسللوا ونظموا أنفسهم سراً، وعاثوا في الجنوب قتلاً وتدميراً فوق كل ما قام به العدو الأمريكي من قصف وتدمير... أولئك من قتلوا الرجال أمام أبنائهم واغتصبوا النساء أمام أزواجهن، وقتلوا عوائل بأكملها ورموا بالجثث على قارعة الطريق ورفعوا الرؤوس المقطوعة على أسنة السيوف والرماح وهم يتحركون كالأشباح من حي إلى حي ومن شارع إلى شارع لإثارة الرعب والخوف في قلوب العراقيين.

قد يتعجب القارئ من هذا الوصف المروع وقد يستنكر هذه المعلومات، إلا ان ما نكر هنا ما هو إلا جزء من الحقيقة التي حصلت في تلك الواقعة المعروفة بالغوغاء في عام ١٩٩١ أثناء الحرب على العراق وبعدها مباشرة، ولأن هذه القوى منيت بالهزيمة، قاموا بالتعتيم الإعلامي الكامل على وقائعها، لا بل زوروا الكثير من الحقائق في مجمل ذلك الهجوم الإعلامي المنظم والمباشر والظالم على العراق... أما كيف انتهت هذه الغوغاء وهذه المذابح؟ فمن المعروف ان أبناء الجنوب الشيعة والسنة، وبعد أن رأوا من الأهوال الشيء الكثير على أيدي تلك القوات، وقفوا وقفة رجل واحد مستعينين بالقيادة العراقية، بعد انتهاء الغارات، للقضاء على هذا الإجرام الذي كاد أن يقصم ظهر العراق بطعنة غدر من الخلف، بعد أن لم تتمكن القوات الأمريكية وحلفاؤها من هزيمة العراقيين وإضعاف عزيمتهم...

هذا مشهد تفصيلي تناقلها العشرات من شهود العيان في نفس العام، وتم توثيقها في الذاكرة لشدة هولها وقبحها، ولكن الحقائق لا يمكن أن تخفى طويلاً مهما حاولت قوى الظلم أن تحرّف وتشوه في التاريخ .

وهذه الحقائق تكشف لنا ما يدور اليوم في النجف والكوفة وكافة الجنوب العراقي، فهناك مواجهة وحرب لا علاقة لهما بالتقسيمات الطائفية التي حاول الاحتلال وأعوانه أن يغرسوها في المجتمع العراقي، وإنما هناك أبناء وطن واحد يدافعون عن حقهم المشروع في طرد المحتل، فلا يختلف في هذا الحق وهذا النضال «سيد الكوفة» وجيشه الباسل عن أبناء الفلوجة ومدن العراق الأخرى.

sameera@binrajab.com